تطبيقات في مقياس فقه اللغة

- اسم الأستاذة: د/ رشيدة كلاع
- المقياس: فقه اللغة
- السنة: أولى ليسانس
- التخصص: /
- النوع: تطبيق
- الفوج: 13.

- الدرس الأول:

مدخل فقه اللغة (نشأة المصطلح، مفهومه) الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة والفلولوجيا

لم يكن العرب في الجاهلية بحاجة إلى تعلم لغتهم الجارية على ألسنتهم جريان الفطرة والسليقة. كما لم تدفعهم الحاجة إلى جمعها ودراستها مخافة ضياعها، أو فسادها بانتشار متكلميها في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتعاقب أجيال عليها. وعلى الرغم من تعدد لهجاتها، فإنّ الخطباء والشعراء وأشهرهم أصحاب المعلقات كانوا يحسنون تخيّر الألفاظ والتراكيب الشائعة، التي تُمحى معها الاختلافات، وتذوب بها الفوارق اللهجية.

1- مصطلح فقه اللغة:

تأثرت الدراسات اللغوية منذ نشأتها الأولى بمنهاج العلوم الدينية نحو: **الفقه، وعلم الكلام**. فعلم اللغة وضع في الأساس لخدمة القرآن الكريم، والمحافظة عليه نطقا وفهما. لهذا ربط العلماء بين معرفة اللغة العربية والدين الإسلامي. يقول **أبو منصور الثعالبي** في هذا السياق: «**والعربية خير اللغات والألسنة. والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التّفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد**» ففي قوله دعوة إلى الاهتمام بالعربية والتضلع فيها.

يبدو أنّ مصطلح "فقه اللغة" مكون من لفظتين أضيفت أولاهما وهي: **فقه**، إلى الثانية: **اللغة**، للدلالة على العلم الذي يختص بدراسة اللغة من شتى جوانبها، ويقابل العبارة العربية مصطلح "**فيلولوجي**" في الفرنسية.

وردت كلمة "**فقه**" في معجم **مقاييس اللغة** لابن فارس: فَقِه يفقَه الشيء بمعنى علمه وفهمه، ومن ذلك قولهم: "**فلان ما يفقه وما ينقه**" أي: لا يعلم ولا يفهم، ومصدره الفقه بالكسر. وفَقُه يفقُه فقاهة إذا صار فقيهان وكل عالم بشي فهو فقيه وجمعه فقهاء. أما لفظة "**لغة**" المشتقة من **لغا يلغو**، فهي اللسن أو الكلام المصطلح عليه بين كل جماعة لغوية، ومصدرها الأصلي لُغوة على وزن فُعلة.

وبجمع الكلمتين في مصطلح واحد يتبدى لنا أن "**فقه اللغة**" أو "**علم اللغة**" شيء واحد وان اختلفت اللفظتان. يذهب ابن خلدون إلى القول: «**هذا العلم (أي علم اللغة) هو بيان الموضوعات اللغوية. وذلك لما فسدت ملكة اللسان العربي.... احتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث** »

2- أولى مؤلفات فقه اللغة:

حاول ابن فارس وغيره التقنين للعربية، ووضع قوانين تحكمها، وهذا ظاهر في كتابي: "**الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**"، ظهر قبل نهاية القرن الرابع الهجري ألفه ابن فارس حوالي سنة 382هـ. أما كتاب "**فقه اللغة وأسرار العربية**" فهو متأخر عنه، ألفه الثعالبي للغاية ذاتها وهي خدمة القرآن الكريم، لتتوالى بعد ذلك المؤلفات نحو: "**الخصائص في اللغة**" لابن جني، و"**المخصص**" لابن سيده، و"**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**" للسيوطي تندرج كلها في باب البحث اللغوي القديم، إذ يمكن أن يطلق عليها "**فقه اللغة**" لما تضمنته من دراسات عامة حول نشأة اللغة العربية، والقوانين التي تسير عليها.

الدرس الثاني:

نظريات نشأة اللغة الإنسانية

المحاكاة، التواضع، الاصطلاح والإلهام.

ليست نشأة اللغة قضية جديدة في الدرس اللغوي وإنّما هي مشكلة قديمة شغلت الناس في سائر العصور، وما زالت تستأثر باهتمام اللغويين. فقد أثارت مشكلة نشأة اللغة وأصل الكلام البشري تأملات جمة في أذهان المهتمين بقضايا اللسان على اختلاف أجناسهم، وحضاراتهم وأزمنتهم. فكان الحاصل تغذية الفكر بالفرضيات، وإنجاز الأبحاث والمؤلفات. وتوصلوا إلى نظريات عديدة أشهرها أربع نظريات هي: (**نظرية التوقيف والإلهام**، **نظرية التواضع والاصطلاح**، **نظرية التقليد والمحاكاة**، **تظرية الغريزة الكلامية**).

1- أصل اللغة العربية:

ظهر في منتصف القرن الربع الهجري الاهتمام بمسألة نشأة اللغة العربية، وتجسّد في اختلاف جوهري بين فريقين؛ فريق سني مثله **ابن فارس**، وسلّم بتوقيف اللغة. وفريق معتزلي مثّله **أبو علي الفارسي** وتلميذه **ابن جني**، اللّذان ذهبا إلى أنّ اللغة من صنع الإنسان واصطلاح المتكلمين.

أ/ السنيون وفكرة التوقيف:

لعل القول بأزلية القرآن الكريم، وأنّه غير مخلوق هو الذي استدرج السنيين إلى اعتبار اللغة توقيفا وإلهاما من الله. ما ينفي أيّ تدخل للإنسان في نشوء ألفاظها. فالسنيون يفهمون بالنّص، ولا يعترفون بالعقل في التفسير.

استدل ابن فارس على توقيف اللغة بآيات من القرآن الكريم على صحة رأيه في توقيف اللغة؛ ففتح باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح؟ بإثبات أنّ لغة العرب توقيف، مستشهدا بقوله تعالى: **"وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء**

هؤلاء إن كنتم صادقين" سورة البقرة: 31. مستعينا بتفسير عبد الله بن عباس (687 هـ) الذي أوضح فيه القصد من تعليم الأسماء وأيّده فيما ذكره من أسماء الحيوان، والنبات، والجماد، وغير ذلك من الأسماء الضرورية لحياة آدم عليه السلام، وذريته من بعده. أي أنّ الله قد أعطى لآدم القدرة على تسمية الأشياء.

وفي السياق ذاته يندرج قوله تعالى: "**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**" سورة الروم: 22. هذا دليل آخر على أنّ اختلاف اللّغات أمر توقيفي من عند الله، وليس للإنسان يد أو دخل في صنعها على الإطلاق.

– **التدرج في التوقيف:** جاء في تصور ابن فارس أنّ اللغة لم توجد دفعة واحدة، وإنّما أوحيت إلى الأنبياء تدريجيا، وعلى حسب احتياجاتهم إلى معرفته في أزمنتهم لتأدية رسائلهم السماوية. وتبليغها إلى أممهم. فكان أن "**وقف الله جلّ وعزّ آدم عليه السلام ما شاء أن يعلّمه إياه، مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله. ثمّ علّم بعد آدم –عليه السلام– من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلّمه. حتى إذا انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، فأتاه الله جلّ وعزّ من ذلك ما لم يؤته أحدًا قبله. تماما على ما أحسنه من اللّغة المتقدمة. ثم قرّ الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت**" الصاحبي، ص8 .

يذهب ابن فارس إلى أنّ الله علّم آدم كلّ اللغات قبل أن يحدث الاختلاف بعد الطوفان، ونستقل كل جماعة بشرية بلغة معينة.

خلاصة القول: إن أصحاب التوقيف آمنوا إيمانا قويا بأنّ الله وحده خالق كلّ لغة، ومُوقِفُ كل لسانٍ؛ واستدلوا على ذلك بالنصوص القرآنية وفسروها تفسيراً يناسب أهواءهم، ويؤيد رأيهم.

ب– المعتزلة وفكرة الاصطلاح: نسبت زعامة هذا الفريق "**لابن جني**" ولأستاذه "**أبي علي الفارسي**" اللّذان اعتمدا في معالجة نشأة اللغة على تحكيم المنطق العقلي، حتى في تفسير الشواهد القرآنية، التي يدعمان بها رأيهما.

يذهب " **ابن جني**" في تأويله للفظة "**علّم**" **(وعلّم آدم الأسماء كلّها)** بمعنى "**أقدر**"؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى أقدر آدم على وضع اللغة بوحي أو إلهام من منه، لا من تلقاء نفسه. والقدرة كما جاء في التفسير معناها استطاعة آدم على وضع جميع أسماء المخلوقات بجميع اللغات.

- **القول بالاصطلاح**: يتبدى من أقوال ابن جني المبثوثة في الخصائص ميله إلى فرضية التواطؤ والمواضعة في نشأة اللّغة.

فاللّغة عند "ابن جني" نشأت من ضرورة الاتصال بين الناس، وتمت المواضعة على أيدي جماع ممن يتمتعون بقدرٍ وافٍ من الحكمة والمعرفة. فاصطلحوا على تسمية الأشياء وتعيينها بعلامات لسانية تُغني عن إحضارها ماديا إلى مرآة العين. وفي ذلك يقول: "**كأنْ يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذُكر عُرف بمسماه ليمتاز من غيره، وليُغني بذكره عن إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله... فمتى سمعت اللفظة من هذا عُرف معناها، وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء، والأفعال، والحروف**". الخصائص، ج 1، ص 44. نفهم من هذا القول أمران: أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية، تأتي مواضعتها عن طريق الاتفاق بين "الحكماء" الذين تولوا إطلاق الأسماء على الأشياء. إضافة إلى أنّ الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها عرفية، أي اعتباطية وغير معللة بتعليل طبيعي.

احتج القائلون بالاصطلاح بقوله تعالى: "**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**" فاختلاف اللغات ملازم لاختلاف الرسالة والمرسلين من قوم إلى قوم، ودون سابق توقيف.

- **الجمع بين التوقيف والاصطلاح**: استمر الخلاف بين علماء اللغة وأهل الكلام زمنا طويلا بعد عصر ابن فارس، وابن جني. إلى أن جاء: **فخر الدين الرازي، وأبي إسحاق الأسفراييني، وأبي حامد الغزالي، وعثمان الحاجب** ... وغيرهم ممن اهتدوا إلى حلّ وسط مفاده: أنّ اللّغة بدأت توقيفية، وانتهت اصطلاحية.

وبالتماس التوفيق بين التوقيف والمواضعة في حق اللّغة الإنسانية، يكون علماؤنا قد استجابوا للوازع الديني، والمنطق العقلي معًا. فصدّقوا قوله تعالى فيما أنزل من آيات موضحات لتوقيف آدم على

اللّغة، ولم يخالفوا الواقع اللّساني الذي يثبت عملية التواطؤ فيها؛ لمسايرة التقدم الفكري والحضاري. **فالتوقيف** ظاهر في قدرة الإنسان على التلفظ، وهي ميزة غريزية خاصة به وحده. **والاصطلاح** في تحديد المدلولات، وفي احتياج الآدمي/الإنسان إلى غيره لتلقي المواضعة عنهم، وتعلّم الألفاظ، واستيعاب المعاني.

فالله عزّ وجل قد خصّ بني آدم دون سواهم من سائر المخلوقات بالقدرة على خلق اللّغة، واستعمالها في شؤون حياتهم اليومية. فصارت مقدسة لأنّها وسيلة تفكير، وتعبير عن القضايا الدينية، والفكرية، والأدبية، والعلمية.

من نماذج الاصطلاح/التواضع:

- **الترادف**: للكلمة الواحدة عدة معاني، وقد تختلف من منطقة إلى أخرى.
- **التضاد**: الجون☹البياض، السواد، الاحمرار)
- **الاشتقاق**: علم: **(ع ل م)، (ع م ل)، (م ل ع)، (م ع ل)، (ل م ع)، (ل ع م).**

ج– نظرية المحاكاة: ذهب هذا الفريق إلى القول بأنّ نشأة اللغة كانت بمحاكاة الأصوات، في محاولة لضرب النظريتين السابقتين **(الإلهام، والاصطلاح)**، محاولين بيان كيفية محاكاة الإنسان لهذه الأصوات. فقسموا ذلك إلى مرحلتين:

أ/ **المرحلة البدائية**: قام فيها الإنسان بتقليد أصوات الطبيعة تقليدا تدريجيا، فكان قليل الألفاظ. إلاّ أنّه وبعد فترة تكوّن لديه معجما لغويا، مع استعانته بالإشارة لتوضيح المعاني التي يريد التعبير عنها في ظل نقص في اللغة. وقد سميت هذه المرحلة بمرحلة **العجز اللّغوي**.

ب/ مرحلة الرقي الفكري: أصبح للإنسان لغة، فتخلى عن المحاكاة. فالطفل في بداية كلامه يستعمل اللغة إضافة إلى الإشارات. فقد تكون هذه اللغة غير كاملة أو سليمة في بداية كلامه. ليتطور الأمر فيحسن استعمالها (ابتعاد الإنسان عن المحاكاة).

استدل أصحاب هذا الرأي بمجموعة من الأدلة:

- اتفاق اللغة في كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل **(عبد الواحد وافي)**.
- اتفاق خصائص اللغة الإنسانية في مراحلها الأولى في كثير من الأحيان مع سمات لغات الأمم البدائية. فكثرت فيها الألفاظ التي تشبه في أصواتها ما تدل عليه.
- وقد قال بهذا الرأي فلاسفة اليونان: أفلاطون، وسقراط. ومن علماء العرب قال بها: الخليل، والثعالبي، وابن دريد، وأبو عمرو بن العلاء...

وجهت لهذه النظرية جملة من الانتقادات منها:

- ليس من المعقول أن يقلّد الإنسان أصوات حيوانات أدنى منه عقلا، إنّما اللّغة كامنة في الإنسان **(ماكس مولر الألماني)**.
- الطفل لا يعيد تاريخ نشأة لغته.
- الأمم البدائية التي يتحدث عنها أصحاب هذا الرأي: الفارسية، والهندية، وهي أمم قريبة ومعروفة، لا يمكن تفسير اللغة من خلالهم.
- ما يلاحظ على هذه النظري أنّها تتصف بالسذاجة، وبحاجة إلى إنارة وعمق أكبر.
- عجز أدلة أصحاب المحاكاة على تفسير كيف تم مبدأ محاكاة الصوت في آلاف الكلمات، التي يلاحظ أنّ لا علاقة فيها بين الصوت والتسمية.

نماذج من الأصوات التي قلدها الإنسان:

- **الأصوات الدالة على الإنسان:** القهقهة، التمطق، الغمغمة، الضوضاء، الصراخ، الزعقة، النحنحة، الزفير، الشهيق.

- **الأصوات الدالة على الحيوان:** الرغاء(**الناقة**)، النعيق(**الغراب**)، هدير(**الجمل**)، الهديل(**الحمام**)، الصهيل(**الفرس**)، الضبح(**الفرس عند الركض**)، نهيق(**الحمار**)، **ثغاء(الغنم)**، الصرصرة (**صوت الباز الصقر**).

– **الأصوات الدالة عن الأشياء:** النشّش (**صوت غليان الماء**)، أزيز (**غليان ما القدر وارتفاعه**)، الحنين والهزيم (**الرعد**)، جعجة (**الرحى**)، صرير (**القلم**).

د– نظرية الغريزة: يمثل هذه النظرية (**ماكس مولر**)، وسانده فيها "**أرنست رينال**". يرى أصحاب هذه النظرية أنّ أصل اللّغة هو الغريزة التي تولد مع الإنسان. لكنّها تبقى مخفية لتبدأ بالظهور مع كبر الإنسان، لترتقي شيئا فشيئا.

فالغريزة تحمل كلّ فرد من النوع الإنساني على التعبير عن كل أحاسيسه المادية والمعنوية. أي أنّ الغريزة هي من تدفع الإنسان إلى التعبير عما يريد باستخدام كلمات أو أصوات مركبة حسب الحاجة. تولد الغريزة مع الإنسان، لكنّها تتأخر في الظهور. فالطفل مثلا يطلق صرخةً عند الولادة، وهذا غريزة لكنّها مبهمة. **فالفرح، الحزن، الغضب، الصراخ**... كلّها غرائز وإن بدت مبهمة.

فاللّغة كانت في البدء غريزة، ليتخلى عنها الإنسان (اللّغة الغريزية) بعد تطوره، واستعماله للغة. كما حدث مع الإنسان في استعماله للوسائل الحربية. بدأت بسيطة ثمّ تطورت.

أدلة أصحاب هذا الرأي:

– سمات لغة الطفل الغموض والإبهام، فهي غير إرادية. فهي مختصرة فيها تقديم وتأخير، وهي سمات الأمم البدائية (استخدامه للعمومية).

– لغة الإنسان الأوّل تشبه كثيرا لغة الأمم البدائية (لغة بسيطة مبهمة، تميل إلى عدم التخصيص).

– المراحل التي يمر بها الطفل في نشأته، هي المراحل ذاتها التي مرت بها اللّغة الإنسانية الأولى.

وجهت لهذه النظرية كثير من الانتقادات. فقد رفضها غالبية العرب والمسلمين. فقالوا إنّ اللّغة لم تكن غريزة، وإنّما هي قدرة من الله تعالى. وكذلك قال الوضعيون.

– لعل أكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية هو: حصرها لأصل اللّغة في خمس مئة (500) أصل مشتركة، التي تقول إنّها تمثل اللغة الإنسانية الأولى. لكنّ هذه الأصول تمثل بقايا لغة أو لغات قطعت أشواطا كبيرة لتصل إلى مرحلة الرقي.

– لو كان الإنسان يمرّ في نشأته للغة بمرحلة الطفولة، فأين نضع الطفولة الأولى.

– لم تستطع هذه النظرية حلّ مشكل أصل اللغة، بل طرحت مشكلا جديدا هو **الغريزة الكلامية**.

– لم يتمكن "**ماكس مولر**" من بيان كيف نشأت اللغة الإنسانية الأولى. وإنّما جاء تفسيره من قبيل تفسير الشيء بالشيء.

– وفق ما ذهبت إليه هذه النظرية تكون اللّغة ثابتة جامدة، لا تتغيّر. وكأنّ "ماكس مولر" لا يعرف شيئا عن نظرية النشوء والتطور.

نص:

إنّ اللغة تتألف من علامات أو إشارات لا يربط بينها وبين الشيء الذي تشير إليه أي رابط. فليس في الشجرة (الشيء الخارجي) أي علامات أو خصائص تجعل المتكلم العربي يتلفظ بكلمة **شجرة** ليشير إليها. فاستعمال كلمة **شجرة** ناتج عن اصطلاح جماعي. اتفق عليه مجموع من الناس متكلمون.

ومن أهم ما يميّز لغة الإنسان عن سائر وسائل الاتصال الأخرى أنّها تشكّل مجموعة من الدّوال تعمل ضمن نظام ذي قواعد محدّدة ومعقدة في الآن معا فلا يستطيع الدّال أن يقوم بمهمة الاتصال أو التبادل إلا إذا وجد ضمن مجموعة أخرى من الدّوال تمنحه بوجوده بينها وظيفة اتصالية معينة كما تستقي تلك الدّوال وظيفتها من وجودها معه.

ولا بدّ من وجود وشائج تربط تلك الدوال بعضها بالبعض الآخر (روابط وظيفية). ولنضرب مثلا الجملة التالية: «**يحبُّ التلميذ أستاذه**» . فكل دال من تلك الدّوال يستقي معناه من الدوال الأخرى التي توجد معه. فإذا قلنا: «**التلميذ أستاذه**» **أو يحبُّ أستاذ** «**دون الهاء**» فإنّ الجملة تصبح دون معنى، أو دون وظيفة. وهكذا ترى أنّ اللغة عبارة عن مجموعة من العلاقات يرتبط بعضها بالبعض الآخر.

بسام بركة

الدرس الثالث:

اللغة العربية واللغات السامية: اللغة العربية ولهجاتها

حاول العلماء منذ أواخر القرن الثامن عشر البحث في تاريخ اللّغات، محاولين تحديد أوجه الشبه والاتفاق بينها، كما سعوا للبحث عن الأصول المشتركة لهذه اللغات رغبة في الوصول إلى ما يسمى باللّغة الأولى أو الأم، ودراسة تطور اللّغات، وكتابة تاريخها اللّغوي، حتى توصلوا إلى بعض التقسيمات للغات وهو ما يسمى **بالفصائل أو الأسر اللّغوية.**

قسم مولر اللّغة إلى مجموعتين لغويتين متميزتين:

1- **اللغات الهندية- الأوروبية:** هي أكثر اللّغات انتشارا في العالم، إذ يتكلّم بها أغلب سكان أوربا، وأمريكا، واستراليا، وقسم كبير من سكان آسيا.

يندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللّغات البائدة: كالسنسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية، واللّغات والجرمانية، اليونانية، والإغريقية القديمة. ويندرج تحت هذه المجموعة اللّغات المستعملة الحية: الهندية، والفارسية، والكردية، الأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللّغات الأوربية، والسلافية، والاسكندنافية وغبرها.

2- **اللغات السامية- الحامية:** الاختلاف بين هاتين المجموعتين كبير، فليس بينهما رابط إلا الروابط الجغرافية. تنسب المجموعة الحامية إلى **حام** ابن سيدنا (نوح عليه السلام)، وتشمل: اللّغات المصرية القديمة، والقبطية، واللّغات البربرية التي لا تزال مستعملة في شمال إفريقيا. واللّغات الكنوشينية (الحبشية القديمة)، والنوبية. وأكثر هذه اللغات طغت عليها اللّغات السامية.

3- **اللغات الطورانية:** جمعها "مولر" تحت هذا الاسم تخلصا من كثرة التقسيمات منها: اللغات الصينية، واليابانية، والتركية، والمغولية وغيرها.

أ/ اللغات السامية: والمقصود بها كما يقول الرافعي لهجات القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالا إلى البحر العربي جنوبا. ومن خليج العجم شرقا إلى البحر الأحمر غربا. وتنسب إلى **سام** ابن سيدنا نوح (عليه السلام)، باعتبار أن أغلبية المتكلمين بها هم من نسله.

وقد اختار الباحثون الغربيون هذه التسمية؛ حيث لاحظوا - وهم يقسمون لغات العالم- أَوْجُهَ شبهٍ بين مجموعة اللغات العربية والعبرية والحبشية والسريانية، والآشورية، والآرامية، وغيرها من اللغات؛ فاعتقدوا أنها -في الأصل- لغة واحدة، وأن أهلها يسكنون في بقعة واحدة، ثم تفرقوا في الأرض، وانتشروا، واختلفت ألسنتهم، وتباينت لغاتهم.

- **الخصائص المشتركة للغات السامية:**

يرى العلماء أن صلات القربى، والصفات الجامعة بين اللغات السامية كثيرة وواضحة، وأشد ظهوراً مما هي بين مجموعة اللغات الهندية الأوربية، وقد مر بنا أن بعض علماء العربية تنبهوا إلى العلاقة والرابطة بين العربية وغيرها دون معرفة بتلك اللغات. وأسباب كثرة الروابط بين اللغات السامية عديدة منها:

1- أن الساميين لم يتفرقوا في مناطق شاسعة متباعدة من الأرض كما هو الحال بالنسبة للغات الهندية الأوربية.

2 - وأن الساميين مع تفرقهم وانتشارهم لم تنقطع الاتصالات بينهم، ولم تتوقف هجراتهم.

3- أن أكثر اللغات السامية ترتبط بالأديان والحضارات التي حرص أهلها عليها، وتمسكوا بها، فارتباط العربية بكتاب الله –تعالى- وتمسك اليهود والسريان والآراميين وغيرهم بمعتقداتهم وعباداتهم جعلهم يرتبطون بلغتهم، فلم ينلها تغير كبير.

أما أهم الخصائص التي تجمع اللغات السامية فهي ما يلي:

1 – من الناحية الصوتية: تمتاز اللغات السامية باحتوائها على حروف الحلق (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء)؛ بحيث لا تخلو لغة سامية من بعض هذه الحروف، ويضيع منها بعضها، أو يتحول إلى صوت آخر تحت تأثير اللغات الأخرى.

وقد استنتج العلماء أن السامية كانت تعرف حروف الحلق كما هي في العربية، وأن فقدها من غير العربية طرأ على الساميات، خصوصاً حرف (الحاء)؛ حيث زعم ابن فارس الحاء، والظاء مما اختصت به العرب. وحروف التفخيم أو الإطباق: (ص، ض، ط، ظ، ق) مميزات اللغات السامية،

وقد أجمع الباحثون على وجود القاف والطاء والصاد في كل اللغات السامية، أما الظاء فيظن أنها متطورة عن الصاد، والضاد من خصائص العربية فلا توجد في غيرها –كما مر– .

2 – ومن الناحية الصرفية :تعتمد اللغات السامية على الأصوات الساكنة، ويتحدد معنى الكلمة بالسواكن، ولا يكون للحركات قيمة كبيرة في ذلك، ويغلب على اللغات السامية الأصول الثلاثية، ويوجد فيها بعض الأصول الثنائية والرباعية، كما أن اللغات السامية لغات اشتقاقية تصريفية، وتعتمد على السوابق واللواحق في الزيادة على المعنى الأصلي.

3 – وزمن الفعل في اللغات السامية ينقسم إلى: ماض، ومستمر، ولا تعرف اللغات السامية في الأصل غير هذين الزمنين على حين نرى اللغات الهندية الأوربية ينقسم زمن الفعل فيها إلى عدة أقسام.

4 – وتعرِفُ اللغاتُ الساميةُ حالتين فقط من حيث الجنس، وهما المذكر والمؤنث ولا تعرف نوعاً ثالثاً، وتدخل ما ليس بمذكر أو مؤنث حقيقي في أحدهما مجازاً.

5 – كما أن اللغات السامية تُقَسِّم الاسم من حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، والمثنى لا يعرف في كثير من اللغات.

6 – وظاهرة الإعراب ظاهرة ساميَّةٌ قديمة؛ فهي معروفة في النقوش القديمة كالأكادية كما هو الحال في العربية، وفَقْدُ الإعراب في بعض اللغات السامية حَدَثٌ متأخر.

7 – ومما يربط بين اللغات السامية أننا نجد كثيرًا من المفردات تتشابه معانيها، كالاشتراك في الضمائر، والأعداد، وأسماء الأسرة، وبعض الألفاظ الدالة على المعيشة.

أما أقدم لغة سامية، أو أقرب لغة سامية إلى الأصل المشترك، فهو أمر مختلف فيه وان كان أكثرهم يرى أن العربية أقرب اللغات إلى السامية الأولى؛ فالأبجدية الصوتية التي رسمها العلماء للسامية الأولى قريبة إلى حد ما من الألف بائية العربية، والعربيةُ لم تَفْقِد شيئاً من مخارجها، وحافظت على ظاهرة الإعراب كاملة، كما أن المفردات والتصريف، وتركيب الجملة السامية الأولى مما حافظت عليه العربية.

الدرس الرابع

اللهجات العربية

اللهجات العربية :لقد كان لسيادة اللغة القرشية –لغة القرآن الكريم- أثر كبير في نظرة علماء العربية إلى غيرها من اللهجات؛ حيث أضرب بعضهم عن نقل غير الفصيح لأنهم يفضلون لغة قريش على غيرها.

وعلى الرغم من شيوع تلك اللغة في العصر الجاهلي، وأنها أصبحت لغة الأدب عامة، وأن القبائل العربية قد اصطلحت فيما بينها على هذه اللغة الفصحى، وأن الشعراء كانوا على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها ينظمون شعرهم في تلك اللغة، بالرغم من ذلك كله كانت هناك لهجات كثيرة تميزت بها بعض القبائل، وظلت آثارها واضحة على ألسنتها إلى القرن الثاني للهجرة، حيث سجلها بعض اللغويون، وأطلقوا عليها ألقاباً تدل على استهجان هذه اللهجات ولم يكونوا يُعنون بنسبة هذه اللهجات إلى أصحابها؛ فقد كانت تهمهم الصحة اللغوية، وكأنهم يريدون التنبيه على ما يخالف اللغة الأدبية العامة التي نزل بها القرآن؛ **ولهذا يلاحظ أنهم قد يختلفون في نسبة اللهجة**؛ فقد ينسبها عالم إلى قبيلة، وينسبها غيره إلى قبيلة أخرى .ولهذا استحسن بعض الباحثين أن يقسم أنواع الاختلاف إلى خمسة أقسام وهي:

القسم الأول: **لغات منسوبة ملقبة**: ومعنى ذلك أنها تنسب إلى قبيلة أو قبائل، وأن لها لقباً تعرف به. وقد عده العلماء من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ. وهو كذلك بعد هذبت اللغة، وأطبقت العرب على المنطق الحر، والأسلوب المصفى، وسيأتي نماذج لأمثلة من ذلك.

القسم الثاني: **لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إبدال الحروف**.

القسم الثالث: **لغات من ذلك في تغير الحركات**.

القسم الرابع: **لغات غير منسوبة ولا ملقبة**.

- **أمثلة للقسم الأول:**

1- الكشكشة: وهي في ربيعة ومضر، وقد تروى لأسد، وهوازن. **والكشكشة:** هي إبدال كاف الخطاب في المؤنث شيناً في حالة الوقف وهو الأشهر، وبعضهم يثبتها في حال الوصل- أيضا- فيقولون في أ ريتكِ: أ ريتكش، وبكِ: بكش، وعليكِ: عليكش.

وبعضهم يجعل الشين مكان الكاف ويكسرها في الوصل، ويسكنها في الوقف فيقولون في مررت بك اليوم: مررت بشِ اليوم، وفي مررت بكْ في الوقف :مررت بشْ.

وأنشدوا على ذلك ق ول المجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها	ولكن عظم الساق منشِ دقيق

يريد: عيناك، وجيدك، ومنك.

وقول الآخر:

يا دار حييت ومن ألمَّ بش	عهدي ومن يحلل بواديش يعِش

يريد: بكِ، وبواديكِ.

2- الكسكسة: وهي إبدال كاف المخاطبة سيناً، أو زيادة سين على كاف المخاطبة؛ وهي كالكشكشة إلا أن السين تحل محل الشين، في هذه اللهجة. وبعض العلماء ينسبها إلى ربيعة ومضر وبكر وهوازن.

ونقل الحريري أنها لبكر لا لربيعة ومضر، وهي فيما نقله زيادة سين بعد كاف المخاطب. وروى صاحب القاموس أنها لتميم لا لبكر، وفسرها كما فسرها الحريري.

3- الشَّنْشَنة: وهي قلب الكاف شيناً مطلقاً، فيقولون :في لبيك اللهم لبيك :لبيش اللهم لبيش، ويقولون في :كيف :شيف، أو تشيف.

وتنسب هذه اللهجة إلى قبائل من اليمن، وتغلب، وقضاعة. ويلحظ أن الشنشنة، والكشكشة لهما بقايا في عديد من اللهجات العربية في الخليج العربي والشام.

4- التلتلة: وهي كسر أحرف المضارعة مطلقاً، وينسبها بعض العلماء إلى كثير من قبائل العرب كتيم، وخصوصاً بطن بهراء منها.

5- الطمطمائية :وهي إبدال لام التعريف ميماً. وقد جاء على اللهجة قول النبي: "**ليس من أمبر امصيام في أمسفر**. أي: (ليس من البر الصيام في السفر)، وتنسب إلى طيء، والأزد، وقبائل اليمن بعامة. ولا ت ا زل في بعض قبائل جنوب الجزيرة واليمن.

6- العنعنة: وهي قلب الهمزة المبدوء بها عيناً. فيقولون في :إنك :عِنكَّ، وفي أسلم: عسلم، وفي إذن: عِذن، وهلم جرا.

وتعزى هذه الظاهرة إلى تميم، وقيس، وأسد، وقضاعة.

7- العجعجة: وهي جعل الياء المشددة جيماً، فيقولون في تميمي: تميمج. وكذا يجعلون الياء الواقعة بعد عين، فيقولون في الراعي: االراعج وهكذا. وتنسب هذه اللهجة إلى قضاعة؛ ولهذا يقال :عجعجة قضاعة. وكانت قضاعة إذا تكلموا غمغموا؛ فلا تكاد تظهر حروفهم، وقد سمى بعض العلماء ذلك منهم(غمغمة قضاعة). وتنسب العجعجة إلى بعض قبائل تميم.

8- الوتم: في لغة اليمن، وهو جعل السين تاء؛ فيقولون في الناس: النات. ويستشهد اللغويون على ذلك بقول علباء بن أرقم:

يا قبَّح الله بني العلات	عمرو بن يربوع شرار الناتِ

فقوله: النات أي: الناس، وقوله: أكيات أي :أكياس جمع كَيِّس.

9- الوكم: في لغة ربيعة، وهم قوم من كَلْب، يكسرون كاف الخطاب في الجمع متى كان قبلها ياء أو كسرة، فيقولون في عليكُم وبِكُم :عليكِم، وبكِم.

10- الوهم: في لغة كلب يكسرون هاء الغيبة متى وَلِيَتْها ميم الجمع مطلقاً، والفصيح أنها لا تكسر إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة نحو :عليهِمْ، وبِهِم، فيقولون في مِنْهُم وعنهُم وبينهُم: مِنهِم، وعنهِم، وبينهِم.

11- الاستنطاء: في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار؛ حيث يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء؛ فيقولون في أعطى: أنطى.

12- القُطْعة: في لغة طيء: وهي قطع اللفظ قبل تمامه، فيقولون في مثل: يا أبا الحكم: يا أبا الحكا.

وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو؛ لأن الترخيم مقصور على حذف آخر الاسم المنادى، أما القطعة فتتناول سائر أبنية الكلام.

13- اللخلخانية: وهي تَعْرِض في لغة أعراب الشحر، وعمان، فيحذفون بعض الحروف اللينة، ويقولون في نحو: ما شاء الله: مشا الله.

- **القسم الثاني:** لغات منسوبة غير ملقبة عند العلماء، ومن أمثلته:

1- في لغة مازن: يبدلون الميم باءً، والباء ميماً، فيقولون في بكر: مكر، ووفي اطمأن: اطبأن.

2- في لغة طيء: يبدلون تاء الجمع هاءَ إذا وقفوا عليها إلحاقاً لها بتاء المفرد، وقد سُمع من بعضهم: (دفن البناهْ من المكرماه). يريد: البنات والمكرمات.

3- في لغة طيء – أيضاً: يقلبون الياء ألفاً بعد إبدال الكسرة التي قبلها فتحة، وذلك من كل ماضٍ ثلاثي مكسور العين، ولو كانت الكسرة عارضة كما لو كان الفعل مبنياً للمجهول، فيقولون في: رَضِي، وهُدي: رَضَا، وهدَى.

4- في لغة طيء على ما رواه ابن السكيت أنهم يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاء، فيقولون: هن فعلت، يريدون إن فعلت، ومنه قول شاعرهم:

5- في لغة تميم يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي إذا كانت عينه ياء على أصلا لوزن بدون حذف؛ فيقولون في مبيع: مبيوع. لكنهم لا يفعلون ذلك إلا إذا كانت عين الفعل واواً إلا ما ندر.

القسم الثالث: من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات، ومن أمثلته:

1- هاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقا إذا وقعت بعد ياء ساكنة؛ فيقولون: لديهُ، وعليهُ، ولغة غيرهم كسرها.

وعلى منطق أهل الحجاز قرأ حفص وحمزة: [ما أنسانيهُ إلا الشيطان]و[عاهد عليهُ الله.] أما غيرهما فيكسر الياء.

2- في لغة بني يربوع -وهم من بني تميم- يكسرون ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم، فيقولون: في نحو ضاربيَّ : ضاربيِّ وهكذا...

3- وقال ابن جني: "إن أبا الحسن - الأخفش- حكى أن سكون الهاء في مثل هذا النحو- يعني في ضمير النصب المتصل- لغة لأزد السراة.

4- وهناك لغات في كلمات، وهي كثيرة جداً منها:

أن تميماً من أهل نجد يقولون :نِهِيٌّ: للغدير، وغيرهم يفتحها. والعرب يقولون: رُفقة للجماعة، ولغة قيس: كسر الراء.

والحجازيون يقولون :لعمري، وتميم تقول: (وعملي) ويحكى عنهم (وعمري) —أيضا-.

- القسم الرابع: وهو لغات غير منسوبة ولا ملقبة: وهذا القسم هو اللغة أو أكثرها؛ لأن الذين دونوها جمعوا كل لغات العرب، وجعلوها لغة جنسية؛ فلم يميزوا منطقاً من منطق، ولا أفردوا لغة عن لغة؛ خدمة للتاريخ اللغوي الذي يراد به خدمة القرآن وعلومه. ومن أمثلة ذلك:

1- إبدالهم أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء: كقولهم في الثعالب والأرانب، والضفادع: الثعالي، والأراني، والضفادي. في سادس: سادي، وفي خامس: خامي.

2- ومن العرب من يجعل الكاف جيماً، فيقول: مثلاً: (الجعبة) في (الكعبة). وبعضهم ينطق بالتاء طاءً، كأفلطني في أفلتني، قال الخليل: وهي لغة تميمية قحة.